عناصر الإبداع الفنى
فى نقائض جرير

دكتور

أنـــور حميدو فشـــوان

مدرس بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية

بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق المرسلين .

وبعد ؛؛؛

فإنه لا يمكن التصور بان " فن النقائض " يكون قد وجد بهذه الصورة الفنية التى رصدت فى العصر الأموى ، على نحو ما نجده قد استوى على سرقه ، له من الأصول الفنية والأدبية ما يشكل شروطًا فى تحقيق هذا النوع من القصائد ، فهى ذات أداء خاص ، لها شرائطها من حيث اتحاد الموضوع والبحر والقافية وتقابل المعانى وطرق نقضها ، بحيث يقف الشاعر من خصمه موقف المحاداه والملاحاة ، يريد أن يفسد عليه معانية ويظفر به بابا الجدل والمفاخر والهجاء ، ومن ثم فإن هذا الفن قد تدرج فى مساحة كبيرة من الزمن ترجع إلى طفولة الشعر العربى قبل الإسلام ، حتى انتهى به الأمر إلى حيث تجد نصوصه الشعرية خامة أدبية متكاملة العناصر الفنية والإبداعية فيجد الدرس النقدى فيها مجالاً واسعًا للدراسة والتحليل ورصد عناصره الفنية المختلفة وإنه على الرغم من وجود مقومات جاهلية أدت إلى بروز قبل هذا الفن ، إلا أن عوامل سياسية واجتماعية وأدبية تولدت فى العصر الأموى كانت الباعث الأقوى لهذه النقائض ، فأكسبتها سيرورة ، وجذبت إليها كثرة من الشعراء ، وأخضعت لسلطانها الفحول ن حتى كثرت قصائدها وطالت ، وظهرت فيها السمات الإسلامية واضحة أصيلة ، ونضجت قرائح شعرائها ، فاخصب خيالهم ، وتنوعت معانيهم ، وتمايزت

أساليبهم ، وراحت فيها النزعة الجدلية قوية ذات ضروب شـــتى ، وألـــوان متعددة .

وقد كان عامل العصبيات وأمثالها بمثابة الريح الموائيـــة ، حركـــت نيران الهجاء وزادتها ضراوة واشتعالا ، أعانتها بعض العوامل الشـــخصية الأخرى ، مثل تلك الخصومات التى كانت تنشب بين الشعراء نتيجة النافســة والرغبة فى الاستئثار بالفضل الفنى ، وقد كانت هذه الخصومات بابًا واســعًا ربما دخل منه شاعراً أو أكثر انتصاراً لشاعر ما ضد آخر ، كما حدث فـــى تلك الملاحاة الشعرية الشهيرة بين جرير والفرزدق ، إذ كـــان كثـــير مـــن الشعراء يقفون مع الفرزدق ضد خصمه ، ومن ثـــم ألـــهبوا ضـــرام هـــذه الخصومة وساعدوا على اتساعها واستمرارها .

فى ظل هذه العصبيات المختلفة ، والخصومات الشخصية الناشبة انتقل فن الهجاء نقلة كبرى ، انتقل من تلك الصورة البسيطة التى كان عليها فـــى العصر الجاهلى ، فأصبح فناً مكتمل لنهج والأداة ، لا تعوزه دلالة الصنعة ، ولا تخفى فيه مظاهر التخصص ، يستجمع له الشاعر يحتشـــد ن ويســـتعين عليه بكل مهاراته الفنية ، وبكل معارفه عن أنساب القبائل العربية وأخبارهـــا وأيامها ، حتى ليصح اعتبار بعض قصائد الهجاء فى العصر الأموى بمثابـــة الوثائق التاريخية لحروب هذه القبائل وخصوماتـــــها وصراعاتـــها القديمـــة والحديثة .

وقد كان اختيارى لدراسة نقائض جرير ، فى سياق من التناول الفنـــى لسببين مهمين :-

أولهما : أن هـذا العصر الأموى كنت أتحين فرصة ما لادلـو فيـه بدلوى ، ولم أكن قد خضت فيه بدراسة ما ، ولظنى الغالب فى طبيعة فنونـه الأدبية التى تجمع بين بداوة الجاهلية وذوق الحضارة الإسلامية ، ومن ثـمّ فإن الله وهى تمثل أساس النص الأدبى عامة ، دائما ما ترد وسطا بين غرابة ووحشية العصر الجاهلى ، والطرافة والشعبية فى العصر الأموى ، الأمـر الذى جعل النص الأموى يحمل طابعًا متميزا فى لغته ، بحيث لا يسـتهجنه النص القديم ، فهى أقرب إليه ومنبثقة عنه ، ألا تستغربها البيئات الشـعرية الجديدة ، ففيها نسخة منها واستجابة طبيعية لمستجداتها .

ثانيهما : أنه نظرًا لطبعة التجديد والتطور التى طالت أغراضها بعينها فى هـذا العصر ، حيث تحول المدح إلى شعر سياسـى ، والـهجاء إلـى نقائض ، والغزل إلى اتجاه فنى تتخصص فيه القصائد الطوال ، فقد انتقيت " فن النقائض " لتكون محل دراسة فنية ، ظنًا منى أنها تفتقد التركيز على هـذا الجانب على كثرة درسها ونقدها فتكون فرصة سانحة لجلية جوانبها الفنيـة من حيث البناء والعرض وسماتها الفنية التى مثلت من خلالها فنًـا قائمـا ، صار علمًا يشار إليه إشارة خاصة من بين الاتجاهات الفنية المتعـددة فـى العصر الأموى .

وجرير الشاعر . إنما يمثل الحياة العربية الخالصـة التـى لا يعكـر صفوها شائبة من حياة دخيلة امتزجت بها حضارة الإسلام ، أو ثقافة وافـدة اقتضتها ظروف الدولة الأموية أما أعماله الإبداعية فهى تمثل طبيعـة فنيـة خاصة ، أكثر ما تتمثل فى طغيان شخصيته ، وبصمته المتفردة ، وخصوبـة خياله المبتكر ، وتوليده الصور الفنية الساخرة ، ورصـده البيئـة العربيـة

بمختلف طبائعها البدوية الحضارية ، وبخالصة حسها الاجتماعى الغـــالب ، فضلاً عن صياغته كل هذه الدلالات وفق ألسوب رصين ، وألفاظ جزلـــة ، ومتانة نسج ، وموسيقى ذات رنين عال يعبر عن قوة أســلوبه ، وصدقـــه الفنى ، وانفعالاته المؤثرة .

وقد خرج البحث فى تمهيد ومبحثين :

أما التمهيد ، فلم أشأ إلا أن أعرف بالشاعر إلـــى القــارئ ، دون أن تكون لى أية تحليلات خاصة بشخصيته ، فلذلك مقامه الخاص به .

أما المبحثان فقد خصصا لدراسة التشكيل الفنى لنقائض جرير على هذا النحو المبثوث بكل تفصيلاته داخل البحث .

والله أسأله التوفيق والسداد والقبول .

د. أنور فشوان

تمهيد حول :

جرير ... الشاعر (*)

فى إحدى قرى اليمامة ، وفى حوالى سنة ثلاثين من الـــهجرة ، ولـــدِ " أبـــو حذرة " جرير بن عطية ابن الخطفى ، من ابوين ينتسبان إلى قبيلـــة " كليب " ، إحدى قبائل " يربوع " ، وجده " حذيفة " الملقب بالخطفى ، كـــان من القدماء العلماء بالنسب وأخبار العرب .

أما عطية أبو جرير ؛ فقد عرف بقصر القامـــة ، وضعـــف الفـــؤاد ، واعوجاج القدمين ، وكان يُرمى بالشحَّ ... وأم جرير كليبية اشـــتهر بلقـــب نبزت به ، وعير به أبناؤها وأحفادها هو (حقَّة) لقبها به رجل رفض أبوهـــا تزويجها منه ، معللاً ذلك بصغر سنها ، فتعجب الرجل من هـــذا التعليـــل ، وقال إنها حقه ، مشبهًا إياها بالناقة التى بلغت من السن ما يجعلـــها تصلـــح للضراب .

من ثم كانت أسرته الخاصة فقيرة قليلة الحظ من الشـــهرة الصيـــت ، بالقياس إلى أسرٍ أخرى ، وكان أبوه كالمعدم ، فلم تخل نشأته إذاً من البـــؤس والضيق ، وكأن هذه الظروف نفسها قد أعانت ما فى هذا الصبى من استعداد للتفوق والنبوغ على أن يظهر ويؤتى ثماره ، وهو الذى ولد فى بيئة بدوية ، يتوارث أبناؤها الشعر ، كاسرة زهير بن أبى سلمى ، وقضى صباه وشـــبابه

(*) اعتمدت فى سرد وتنسيق المعلومات الخاصة بالشاعر وحياته على المصادر الآتيـــة : الأغانى للأصفهانى فى طبعته المصرية - الجزء الثامن ، وكتاب : جريـــر - محمـــد ابراهيم جمعه ، طبعة دار المعارف سلسلة نوابغ الفكر العربى ،وكتاب : جرير حياتـــه وشعرة ، د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، ١٩٦٨.

يرعى غنم أبية فى وادى المروت ، حتى حدثت حادثة أظـــهرت مواهبـــه ، وذلك حين تشاجر أبناء عمومته بنو سليط مع قومة بنى كليب ، وتنازعوا فى غدير بالقاع، فهجاهم جرير ، ثم التحم مع شعراء آخرين بعد ذلـــك ،منـــهم الأعور النبهانى الطائى ، والبعيث المجاشعى ، غـــير أن صفحـــة الـــهجاء الكبرى قد فتحت له ، وقد بلغ جرير ريهان شبابه حينما لا تحم بالهجاء مـــع الفرزدق شاعر تميم الكبير ، فاستمراً يتهاجيان قرابة أربعين عاما ، فى أثناء تلك المعركة اصطدام مع شعراء كثيرين يزيدون على الأربعيـــن ، منـــهم : الأخطل التغلبى ، وسراقة بن مرادس البارقى ، واللعين المنقرى ، وعمر بن لجأ التيمى ، وعدى بن الرقاع العاملى ، والراعى النمـــيرى ، وفـــى هـــذه الخصومة التى استطارت بني جرير والشعراء ، تكســـرت حواجـــز الديـــن والأخلاق والأعراف العامة ،وعجزت السلطات عن ردهم عن هذا الصنيع ، فى الوقت التى أصبحت فيه همّ الناس ولهوهم ، ووسيلة للتســـلية وقضـــاء أوقات الفراغ .

اتصل جرير بالخلفاء ، كسائر الشـــعراء الذيـــن دفعتـــهم الظـــروف الاقتصادية إلى أن يقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء وذوى اليسار يمدحونهم ، ويغترفون من عطاياهم ، وأمد لهم الأمويون فى ذلـــك ، تعزيـــزاً لمآربـــهم السياسية ، إذ كان السخاء فى بذل العطاء إحدى وسائلهم فى استلال الســـخائم من نفوس الأعداء ، وقطع السنة الشعراء وأول خليفة وفد عليه فـــى صـــدر شبابه ، ونال جائزته ، زيد بن معاوية ، وكان اتصاله بالحكم بن أيوب عامل الحجاج على البصرة سبيلاً إلى اتصاله بالحجاج بن يوسف الثقفـــى ، الـــذى

قربـــه منـــه ، واتخذه شاعراً رسمياً يمدحه ، ويوضـــــح منـــهاج سياســـته الحازقة (١)

إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ... ماضى البصيرة واضح المنهاج

ويصغى عبد الملك إلى شعره ، فيغبط الحجاج عليه ، ويتمنى أن لـــو صار إليه ، ويعرف الحجاج ذلك فيه ، كما يعرف أنه يكره لقاءه لزبيرتيه فى ماضى أيامه ، فأنفذ معه ابنه محمد بن الحجاج . فاستقبله عبد الملـــك بعـــد عناء ، وعاتبه قائلا : ماذا عسى أن تقول فينا بعـــد قولـــك فـــى الحجـــاج عماملنا(٢)

من سدّ مطلع النفاق عليهم ؟ أم من يصول كصولة الحجاج؟

إن الله لم ينصرنا بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفته ، وظهر الغضب فى وجه عبد الملك ، فمتوسط ابن الحجاج فى الرضا ، وأنشا جرير قصيدتـه حتى بلغ قوله (٣) ألستم خير من ركب المطيات وأندى العالمين بطون راح.

فتبسم عبد الملك وقال : كذلك نحن ومازلنا كذلك ..

وكان لـــه اتصالات " ببشربن مروان " أخى عبد الملك ، وبولاة ابـــن الزبير ، ومنهم الحارث ابن أبى ربيعة المخزومى والى البصرة ، المعـووف بالقباع . ولما تولى الخلافة عمر بن العزيز ، وهو لا يأذن للشـــعراء ، ولا

---

(١) انظر ديوان جرير - الجزء الأول : ، ص ١٣٧.

(٢) دى : ١ ص ١٣٧.

(٣) دى :١ ، ص ٨٩.

يرى لهم حقاً من العطاء ، وفد عليه ورأى عون بن عبد الله بن عتبـــه بـــن مسعود يدخل على الخليفة ، وعليه عمامة قد أرضى طرفيها ، فصاح به :

يأيها القارئ المُرْخى عمامته هذا زمانك إنى قد مضـــى زمنـــى
أبلغ خليفتنا إن كنت لا قيـــه أنىذ لدى الباب كالمفصود فى قَرَنِ

فدخل وأنشد قصيدة منها : (١)

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطـــــر

فأعجب عمر بها ، واعتذر ولم يعطه ، ولما ألح جرير قال بنوا ميـه : مهلاً يا أبا خورة ونحن نرضيك ، وجمعوا له مالاً كثيراً ، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر .

كان جرير ينشد قصائده وأشعارة فى المجامع والمجالس العامة ، مثـل مربد البصرة ، وكناسة الكوفة ، وبعض المساجد والأسواق ، وكان النـــاس يحلقون حوله ، وكثير منهم يحرص على حفظ أبياته أو قصـــائده ، وينشـد بعضهم بعضاً ماحفظ ، وكان هناك طائفة من الناس يحرصون على حفـــظ شعر جرير كله ، والتنقل به فى القبائل والمجالس الخاصة والعامة ، من ثـم نجد شعره فـــى العصر الأموى مرويًا على ألسنه هـــؤلاء الذيـــن حفظـــوه ووعوه ، وحفظوا المناسبات التى قيل فيها .

من هؤلاء الرواة أولاده : وقد كان له عشرة من الولد ، فيهم ثمانيـــة ذكور ، وكان جرير يجلس إليهم يبصرهم بالشعر والشعراء ، حتـــى نشـــأوا

---

(١) دى : ١ ص٤١٤ .

جميعاً يجيدون قرض الشعر ، ويحسنون نقده ، وكان يقـــول لـــهم :أطيلـــوا الهجاء واقصروا الممادحة .

وفى شهر من شهور سنه ١١٤هـ فى إحدى قرى اليمامـــة ، اســـدل الستار على حياة جرير ، فلحق بالفرزدق خصمه الألد ، الذى ســـبقة إلـــى المـــوت بأشهر معدودات فبكته الضاد ، ورثاه الشـــعر : مبدعـــاً أصيـــلاً ، وشاعرًا مغلقًا.

المبحث الأول

المكوّنات الفنية للنقيضة (*)

سميت القصائد التى تبارى فيها جرير مع الفرزدق وغيره من شعراء آخرين فى فن الهجاء بـ(النقائض) ، وقد شاع هذا النوع من الشعر فى العصر الأموى شيوعاً كبيراً ، وعلى الرغم من أنه كان معروفاً من قبل (١) إلاّ أنه لم يكن بهذه الكثرة المطردة ، ولم يكن بعد قد انتهى إلى هذه الصورة المثلى والمتطورة إلا فى العصر الأموى .

وعلى الرغم كذلك من غلبة نبرة الهجاء فى هذا الفن ، إلا أنه لا يمكن أن نعده فن هجاء خالص ، مثلما ورد فى صورته البسيطة فى العصر الجاهلى (٢)، إذ بالنظر إلى صورته الواقعية ، فهو صورة متطورة لفن الهجاء ، تحول على إثرها إلى فن تركيبى يتكون من عدة مشتملات فنية

(*) فن النقائض فى العصر الأموى ومن أكثر الموضوعات الأدبية درساً ونقدا ، من ثمّ وحتى لا يكون ثمّة تكرار فسوف تضيق الدراسة حتى لا تتسع إلا فى حدود التناول الفنى ، وهى الحدود التى تتخصص فيها طبيعة البحث .

(١) فى تفصيل ذلك ، انظر كتاب : تاريخ النقائض " احمد الشايب ، و " نقائض جرير والفرزدق ... دراسة أدبية تاريخية " د. محمود غناوى الزهيرى .

(٢) يمكن أن نعد الهجاء فناً يعبر فيه الشاعر عما يجول بنفسه نحو شخص من الأشخاص ، أو جماعة من الجماعات ، وقفوا منه موقفاً لا يحبه ولا يرضاه ، فيجد نفسه ساخطاً غاضباً ، فيضطر إلى التخفيف عما بنفسه من ألم مبرح يشعر به نحو من آذاه ، فيحاول إيذاء بالكلام كأنه يطهر نفسه مما به من غيظ ، وما مانع بعد ذلك من تطور هذا الاستخدام الأصيل إلى تناولات فرعية ، من مثل التسلّط على الآخرين للمقابل المادى ، أو صياغته فى هذا السياق الجديد ، مما نسميه بالنقائض .

وموضوعية ، يطلق على مجموعها (فن النقائض) ، ذلك لأن الأمويين الذين ورثوا الهجاء عن أسلافهم الجاهلين ، فإنهم ما لبثـــوا أن صبغـــوه بـــألوان تتناسب مع تطورهم فى الجانب الفنى والفكرى والاجتماعى ، فإن العـــرب الذين يطربون بطبعهم لإنشاد الشعر يعجبهم كذلك أن يصقل الفن بمسحة من الجدل والحوار والادعاء والنقض ، ويقتحم ما اختص به النثر والخطابة منـذ أسواق الجاهلية من منفرات ومناظرات ، ثم إنهم فى هذا العصـــر تفتحـــت عقولهم على المبادئ والمقـــولات الفكرية المتعارضة ، وجعلـــوا يوازنـــون بينها ، فمن قائل بالجبر إلى قائل بالاختيار ومن متشيع لحزب سياسى ، إلـــى متعصب لحزب معارض ، وهم يســـمعون إلـــى الفرقـــاء المتعـــارضين ، ويفاضلون بينهم ... ففى خلال هذا الجو نمت تلك الظـــاهرة التـــى تنعتـــها بالنقائض ، وهى تمثل مستوى متطوراً من فن الهجاء ، وهو الـــذى يؤكـــده الدكتور شوقى ضيف بقولة : " والحق أن جريراً والفرزدق طـــورا الـــهجاء القديم تطوراً هائلاً ، فقد أخرجاه من معانية البدوية البســـيطة ، إلـــى هـــذه المناظرات الواسعة فى حقيقة عشيرتهما وحقيقة قيس وتميم " (١)

والصورة الاصطلاحية التى انتهى إليها هذا الفن منذ الجاهلية كما ورد عند الأستاذ الشايب (٢) هى ان يتجة شاعر إلى آخـــر بقصيـــدة هاجيـــاً أو مفتخراً ، فيعمد الآخر إلى الردّ عليه هاجياً أو مفتخـــراً ، ملتزمـــاً البحـــر والقافية والروى الذى اختاره الأول ، ومعنى هـــذا أنـــه لابـــد مـــن وحـــدة الموضوع فخراً أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيباً ، أو جملة مـــن هـــذه

(١) د. شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى : ص ١٩٤.

(٢) انظر : تاريخ النقائض ، احمد الشايب ، ص ٣ ، وأنظر كذلك : معجم المصطلحـــات العربية فى اللغة والأدب ، مجدى وهبه وكامل المهندس ، ص ٤١٦.

أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيباً ، أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض ، ولابد من وحدة البحـــر ، فهو الشكل الموسيقى الذى يجمع بين النقيضتين ، ويجذب إليه الشاعر الثـانى بعد أن يختاره الأول .

ولابد من وحدة الروى ، فذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التى تعـد جزءاً من النظام الموسيقى العام للمناقضة ، ثم تأتى حركة الروى ولابد مـن وحدتها أيضًا ، إتماما لذلك التنسيق الموسيقى ، وإن اختلفـــت فـــى بعـــض النقائض كما فى اللاميتين :

الأولى للفرزدق ومطلعها :

إن الذى سمك السماء بنـــى لـــنا بيتاً دعائمـــــه أعـــز وأطـــول

والثانية لجرير ومطلعها :

لمن الديـــار كأنهـــا لـــم تحـــلل بين الكناس وبين طلح الأعزل(١)

فالأولى ضمة ، والثانية كسرة ، وهاتان أول ما حمى بين الشـــاعرين من المناقضة .

أما ما يخص المضامين والمعانى ، فالأصل فيها المقابلة والاختـلاف ، لأن الشاعر الثانى همّه الأولى أن يفسد على الأول معانية ، فيردها عليـــه إن كانت هجاءً ، ويزيد عليها مما يعرفة أو يخترعاه ، وإن كانت فخـــراً كذبـــه فيها ، أو فسّرها لصالحة هو ، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومة ، ومـــن

---

(١) دى : ٢ ص ٩٣٩.

ثم يعد جانب المعنى هو مناط النقائض ومحورها الذى تدور عليه ، حيث يتخذ عناصره من الأحساب والأنساب والأيام والمآثر والمثالب ، وغيرها مما يسعف الشاعر أن يكون سلاحاً فاعلاً فى وجه الخصم .

ومن هذا لمنطلق فإنه يمكننا أن نضع يدنا على أهم ملمح فلسفى وراء هذه الظاهرة الفنية ، وهو توخى الشاعر عملية الغلبة والانتصار على خصمة ، وذلك باستعراض القوة الشعرية والإبداعية ومهارة القول ، فى تحقيق نصره وهزيمة الآخر ، وانطلاقا مما يتوفر لدية من أسلحة تتفرع توجهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية التى تظهر فيها شخصية الشاعر وحسن تصرفه فى استخدام هذه الطرائق والتنسيق بينها ، وهو لا يبغى من ذلك كله إلا دحر الخصم وطرحة أرضاً ، حتى لو كلفة ذلك أن يخرج على عرف الأخلاق العامة ، وينتهك حرمات الغير ، بطريقة أقرب ما تكون إلى الفحش والخروج على تعاليم الدين .

من ثمّ فإنى أعزز بالاتفاق ما ذهب إليه الأستاذ احمد الشايب فى تفسيره ظاهرة النقائض ، بأنها ظاهرة نفسية طبيعية ، نشأت حتماً عن ملكة الشعر وموهبته التى تزكو فى نفوس الشاعرين ، فتتجاوب أصداؤها على ألسنتهم أوزاناً وقوافى ، وأخيلة ومعانى . (١)

ومن النماذج المشهورة لقصيدة النقائض عامة ، هذه اللامية المشهورة المتبادلة بين جرير والفرزدق ، حيث يستهل الفرزدق قصيدته بهذا البيت الشعرى الذى سجل عظماء الرجال من زرارة ومجاشع ونهشل ، والذى

---

(١) انظر : تاريخ النقائض ، احمد الشايب، ص ٢ .

استمد عظمتة من مجد هذا البناء الذى شيده لهم المولى عـــز وجـــل ، فـــلا ينقضه ناقض :

إن الذى سمك السماء بنـــى لنـــا بيتاً دعائمه أعـــــز وأطـــول!
بيتاً بناه لنا المليك ومـــا بنـــى حكم السماء فإنـــه لا ينقـــل!
بيتـــاً زرارة محتـــب بفنائـــه ومجاشع وأبو الفوارس نهشـــل!
يلجون بيت مجاشع وإذا احتبـــوا برزوا كأنهم الجبـــال المثـــل!

وما أن تنشر قصيدة الفرزدق على الناس ، ويسمع بها جرير ، حتـــى ينسج على منوالها ناقضاً قصيدة من البحر نفسه (الكامل) ، والروى نفســـه (اللام) ، بيد أنه يجنح بحركة الروى من الضمة إلى الكسرة ، وهذا ما عزاه النقاد إلى دماثة جرير ورقته ، بالمقارنة إلى غلظة الفرزدق وجهامتـــه (١) ، من ثمّ نجد جريراً واسع الدراية والذكاء ، حين استماله طبعه اللين الرقيـــق ، وعمد إلى ما يجذب إليه الأسماع ، فاستهل قصيدته بهذا الغـــزل الرقيـــق ، حيث قال :

لمن الديار كأنهـــا لـــم تحـــلل بين الكناس وبين طلـــح الأعزل؟!
ولقد أرى بك والجديد إلى بلـــى موت الهوى وشفاء عين المجتلى
يـــا أم ناجيـــة السلام عليكـــمُ قبل الرواح وقبـــل لـــوم العـــزل
وإذا غـــدوت فباكـــرتكِ تحيـــة سبقت غدو الشاحجـــات الحجَـــل

(١) انظر : الشعر الجاهلى د٠ محمد النهويـــهى ، ط١ ، ص ٦٣ ، وانظـــر : موســـيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور ، د٠ صابر عبد الدايم ، ص ١٦١.

لو كنت أعلم أن آخر عهدكـــم يوم الرحيل فعلت مـــالـــم أفعـــل!
أو كنت أرهب وشك بين عاجل ولقنعت أو لسألت ما لم يسأل! (١)

لماّ استوثق جرير من أنه ملك الأسماع ،وعطف نحوه القلوب ، عـرّج فجأة على ميدان الصراع ، شاهراً سلاحه البتار فى وجه مصارعية ، معلنا انتصاره على كل من البعيث والفردق والأخطل :

أعددت للشعـــراء سمـــا ناقعـــاً فســـقـــيت آخـــرهم بـــكأس الأول
ل وضعت على الفرزدق ميسمى وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل(٢)

ثم يكثف من هجومه الكاسح الذى يفرده للفرزدق ولاميتـــــه ، ناقضـــا لصورها ومعانيها :

أخذى الذى سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك فـــى الحضيـــض الأســـفل
بيتًـــا يحمّـــم قينكـــم بفنائـــــــه دنســـاً مقـــاعده خبيـــــث المدخـــــل
ولقد بنيت أخـــس بيـــت يبتنـــى فـــهدمت بيتكـــــم بمثلـــــى يذبـــــل
إنى بنى لى فى المكـــارم أولـــى وتفحـــت كـــيرك فـــى الزمـــان الأول!
أعيتك مأثرة القيـــــون مجاشـــع فـــانظر لعلـــك تدعـــى مـــن نهشـــــل
وامدح سراة بنـــى فقيـــم إنـــهم قتلـــوا أبـــاك وتـــأره لـــــم يقتـــــل!

---

(١) دى : ٢ ص ٩٣٩.
(٢) نفسه ، ص ٩٤٠.

ودع البراجم إن شـــربك فيـــهم مُـــرَ مذاقتـــه كطعـــم الحنظـــل

إنى انصببت من السماء عليكـــم حتى اختطفتك يا فرزدق مـــن عـــل(١)

ونلحظ فى هذه الأبيات اتكاء جرير على طريقة الاقتباس لكثـــير مـــن صور القصيدة عند الفرزدق بيد أن جريراً يستخدمها فى نقض ما جاءت بـــه قصيدة الفرزدق ، كما نلحظ كذلك تركيز الشاعر على مســـألة تفـــخ الكـــير وحرفة القين أو الحدادة ، وهى المهنة التى اشتغل بها جد الفرزدق وأسرته ، هذا بالإضافة إلى القدرة الإبداعية لجرير ، حين يصـــوغ بالشـــعر ادعـــاءاً بالفخر بأوائل عشيرته ، وهو الذى لا يملك شيئاً من ذلك ، لكنه يعزز هـــذا الأدعاء ليدحر به خصمه ، وذلك بمزيد من التشكيل الشـــعرى والتصويـــر الساخر الذى تفوق فيه ، وبز به جزالة شعر الفرزدق وقوة أسلوبه . وأصالة محتدة ، ونحن حين نتملى كثيراً لصور جرير وطريقته فى تعبئـــة حججـــه ودلائله ، ندرك سر قدرة جرير على الصمود ، ليس أمام الفرزدق والأخطل فحسب ، وإنما كذلك أمام عشرات من الشعراء الآخرين .

طرائق فنيه فى بناء النقيضة :

إن ثمة من الملاحظات الجديرة بالاهتمام ، لا سيما تلك التـــى تتعلـــق بعملية التكثيف حول الدلالات والمعانى ، والقصد إلى أثرها النفســـى علـــى الخصم ، والاعتداد بها محوراً أساساً فى قصيدة النقـــائض ، حيـــث يتخـــذ الشاعر عناصره الدلالية من الأحساب والأنساب ، والأيام والمآثر والمثالب ، وذلك حتى يتسنى له الأمر فى تشكيل موقف معاند لخصم عنيد حيـــال مـــن

---

(١) نفسه ، ص ٩٤٠.

يناقضه ، فيهجوه هجاءً صريحاً ، ويسبه ويكذبه فيما يدعيه ، وينش مخازيه ومخازى قومه ، وربما نال من شرفه وتناول حرماته .

وفى خضم هذا المعترك القائم ، والنزال العنيد ، نجد طرقاً شتى وأساليب متنوعة ، سلكها جرير مع أقرانه من شعراء النقائض فى إزجاء هذه القصائد إلى خصمه .. من هذه الطرائق :

الرد والإلصاق ..

بمعنى إذا أتى الشاعر الأول بمعانى ودلالات بعينها ليهجو بها الثانى ، مكر الثانى به فردها عليه وألصقها به ، كأنها صيغت من جديد لتكون هجاءً من نصيب الأول مثلما حدث بين غسان بن ذهيل وجرير إذ قال غسان :

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليبا جريرها
رميت نضالاً عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صغراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة إلا بميسر طويل تناجيك صغارٌ قدورها

أى أنه فضل عليه جريراً اليحلى ، ووصمه بالعجز عن الدفاع عن قومه ، والذين رماهم كذلك بالبخل ... فأجابه جرير بقوله :

ألاليت شعرى عن (سليط) ألم تجد سليط سوى غسان جاراً بجيرها
فقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءه يناجى بها نفسا خبيثاً ضميرها(١)

يرى أن غسان - وهو من سليط - أعجز من أن يدافع عن قومه ، وأن أحسابهم ضائعة ، ما دام غسان هو المناضل عنها لخبث ضميرها ،

---

(١) دى : ١ ص٤٦٠ .

وهو أن نفسه ، وبذا يكون قد رد إليه ما قاله ، ورماه بنفس ما ادعى عليه .

المماثلة ..

بمعنى إذا جاء الأول بما يسدده للثانى من مفاخر ومثالب ، جاء الثانى بضروب مماثلة ليسددها هو الآخر فى وجهه ، فتصبح هذه المواجهة محل تحكيم فى مجال السبق والانتصار من قبل الجمهور المستمع .. مثلما نجد عند الأخطل فى قوله لجرير :

إخساً إليك كليب إن مجاشعاً وأبا القوارس نهشلاً إخوان

وإذا وردت الماء كان لدارم جماته وسهولة الأعطان

وإذا قذفت أباك فى ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

نراه وقد فضل نهشلاً ومجاشعاً - من دارم قوم الفرزدق - على بنى كليب رهط جرير ، ويقرب بينهما فى وجهه ، ويرمى قوم جرير بالتخلف عن دارم ، وأن هؤلاء أعرق منهم مجداً وأعلاهم مكانة .. فما كان من جرير إلا أن صنع من هذا النسج ، وكون صورة مماثلة ، ورمى بها الأخطل ، ففضل بنى شيبان من بكر على تغلب - رهط الأخطل - وهما أبناء عمومة ، فضلاً عما غمز به الأخطل برشوة رشاه بها محمد بن عمير بن عطارد ، وكانت زقا من خمر ، وخلة ليفضل الفرزدق على جرير .. فقال جرير :

يا ذا العباءة إن (بشراً) قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة فى بنى شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم با خزر تغلب لستم بهجان (١)

ففضل بكراً على تغلب ، وهم الذين قتلوا كليب بن ربيعة التغلبى ، بناقة صرعها ، وكان من جراء ذلك حرب البسوس المعروفة .

مناقضة المعنى المشترك ..

بمعنى أن يكون ثمة تنويع حول المعنى الواحد ، أو الحادثة الواحدة ، وذلك من قبل الشاعرين المتخاصمين ، فما يتناوله الشاعر الأول ليجعل منه مادة دفاع عنه : حماسة أو فخراً أو مثلبة وضعة فى حق الأخر ، يمثل نفس المادة التى يتناولها الشاعر الآخر ليقبلها على وجوه أخر ، ويتخذ منها نفس الأسلحة التى يشرعها فى وجه صاحبه : كأن الأمر قد أصبح مسرحاً للتبارى الفنى والإبداع فى فن القول . فى محاولة مستميتة لتوليد المعانى والدلالات التى يطوعها كل منهما حسب هواه ، ويدفعها فى وجه الآخر .

من ذلك موقف جرير من قيس عيلان ، حيث فسره الفرزدق بأنه ارتزاق وبيع للأهل بمال الرشوة ، فقال فى ذلك يخاطب جريراً من نقيضة :

أدرسان قيس لا أبالك تشترى بأعراض قوم بناة المكارم
فما أنت من قيس فتنج دونها ولا من تميم فى الرؤس الأعاظم

فأجابه جرير بأن ذلك الموقف طبعى ، إذ كانت قيس أحق الناس بالثناء دون تغلب ودام فقال :

---

(١) دى : ٢ ص .

وإنى وقيساً يا ابن قين مجاشـــع كريـم أصغـى مدحتـى للأكـــارم
وقيس هم الكهف الـــذى نســتعده لدفع الأعادى أو لحمل العظـــائم (١)

التنازع ..

بمعنى أن يكون ثمة استياق وتنازع حول فضل ما أو مأثرة بعينـــها : فيدعيها كل منهما لنفسه ، ويدفع عنها الآخر أو ينفيها عنه - كما هو الحـــال بين جرير والفرزدق فلما فتخر الثانى بقتل وكيع بن أبى سود اليربوعى قتيبة بن مسلم الباهلى ، بخراسان ، أول خلافة سليمان بن عبد الملك ، ويتكلم فـى ذلك باسم تميم التى ينتزعمها فيقول :

فدى لسيوف من تميم وفـــى بـــها ردائى وجلت عـــن وجـــوه الأهـــاتم
شفين حزازات النفوس ولم تـــدع علينـــا مقـــالا فـــى وفـــاء للائـــم
أبانابهم قتلى ومـــا فـــى دمائـــهم وفـــاء وهـــن الشـــافيات الحوائـــم
جزى الله قومى إذ أراد خفـــارتى قتيبة ســـعر الأفضليـــن الأكـــارم (٢)

فيأتى جرير فيقصى الفرزدق عن هذه المأثرة ، لأن القاتل من رهـــط جرير دون رهط الفرزدق ، وإن كانا تميمين معاً ، قال جرير :

فغـــيرك أدى للخليفـــة عـــهده وغيرك جلى عـــن وجـــوه الأهـــاتم
فإن وكيعا حين خـــارت مجاشـــع كفى شعب صـــدع الفتنـــة المتفـــاقم

---

(١) دى : ٢ ص١٠٠٥.
(٢) دى : ٢ ص ١٠٠٢ .

لقد كنت فيها بـــا فـــرزدق تابعـــاً وريـــش الذنـــابى تـــابع للقـــــوادم

أجبنا وفخرا يـــا بنـــى زبداســـتها ونحن نشب الحرب شيب المقـلوم (١)

خصائص فنية

إنه من أقوى الأسباب التى تدفعنا إلى القول بأن فـــن النقـــائض فـــى صورتها الفنية الناضجة يكاد يكون حكراً على الفحول من شعراء بنى أمية ، هو ما نجده من معالم لهذا النضج ، تتمثل أكثر ما تتمثل فـــى كثـــير مـــن الخصائص الفنية والتصريفات الإبداعية الفريدة ، وبخاصة عنـــد جريـــر .. وبإمكاننا أن بنلور هذه الخصائص : ونسلط الضوء على كثير من إبداعاتـــها فى شعر جرير ، وذلك على النحو التالى :

أولاً : وسطية اللغة ..

وأعنى بها أن الألفاظ فى نقائض جرير اتسمت بطـــابع لغـــوى مـــن الوسطية ، بحيث لم ترتفع قوة إلى حد الوحشية والغرابة ، ولم تتدنى إلى حد الابتذال والركاكة ، إنما جاءت جزلة متينة ، تجرى على اللسان فى ســـهولة كالدهان ، وتتقبلها الآذان فى لذاذة وعذوبة .

وتلك أهم صفات اللغة فى نقائض جرير : ألفاظ جزلة قوية ، يوردهـــا الشاعر فى سياق من التعبير البسيط ، من ثم كانت عذوبة شعره ، والعـــامل الأقوى فى سيرورته .

---

(١) دى : ٢ ص ١٠٠٢ .

أما الجزالة فلا شك أنها راجعة إلى الجانب الموضوعى لهذا الفـــن ، وبخاصة فيما يتضمنه من هجاء ، فخر وحماسه ، يحمل الشاعر حملاً علـى الفخامة والقوة ، والجهارة والتأثير ، فضلاً عن توخى الأمـــر فـــى إحـــراز النصر على الطرف الخصم ، وتبكيته والنيل منه ، فيدفعه ذلك كله إلـــى أن يأتى من الألفاظ ما يوازى تلك الدفقات الشعورية العارمة ، والحماس المتقد ، ما يلائم عملية التبارى والمنافسة الكبرى التى تغدو محكاً أساساً فى تفضيـــل الجمهور له على خصومة المتصارعين .

أما سهولة الألفاظ وبساطتها ، وعذوبة تناولها ، فذلك راجع إلى طبيعة الحس الإبداعى الخاص الذى تتمتع به شخصية جرير ، فهو صاحب قول لين سهل التناول محبب إلى الأسماع ، ولعل ذلك ما حدا بشعره أن يكون صاحب سيرورة يفوق بها شعر الفحولة الآخرين .. فبالرغم من قوة وبلاغـــة قـــول الأخطل :

قوم إذا استنتج الأضيـــاف كلبـــهم قـــالوا الأمـــهم بولـــى علـــى النـــار

إلا أن سيرورة قول جرير كانت أقوى ، وترداده كـــان أشـــهر بيـــن جماهير القراء ، ووقعه أنفذ فى النفس لعذوبته وخفة جريانه على اللســـان ، حيث يقول :

والتغلبـــى إذا تنحنـــح للقـــرى حـــك إســـته وتمثـــل الأمثـــالا(١)

فهذا الإيراد السهل ، والتناول البسيط ، كان الأغلب على شعره ، حيث نأى به عن التكلف والمعاظلة ، مما " أكسب شعره سيرورة ، حتـــى جـــرى

---

(١) دى : ١ ص ٥٢ .

على أكثر الألسنة ، وظفر بيعد الصيت أكثر من زميليه ، حتى كان أشـــعر عند اللعامة ، كما يقول بعض النقاد ، وعلى هذا تفسّر الموازنة بيـــن بيـــت جرير .

ألستم خير مـــن ركـــب المطايـــا وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح ؟

وبيت الأخطل :

شمس العداوة حتى يســـتفاد لـــهم وأعظم النـــاس أحلامـــاً إذا قـــدروا

والحكم بأن بيت جريراً أحلى وأسير ، بيت الأخطل أجل وارزن ([1])

وفى مكنة القارئ أن يلمس هذه الحقيقة فى شعر جريـــر ، ويتحسّـــس هذه الجزالة وإيرادها فى سياق تعبيرى بسيط ، لاسيما حين يقرأ كثيراً مـــن مناقضاته ، فيتذوق قوله مثلاً :([2])

ألســـنا نحـــن قـــد علمـــتْ معـــدٌ غداة الـــروع أجـــدر أن نغـــارا ؟!

واضـــرب بالســـيوف إذا تلاقـــت هوادى الخيـــل صاديـــة حـــدارا ؟!

وأحمد فى القرى وأعـــزَ نصـــراً وأمنـــع جانبـــاً وأعـــز جـــــاراً ؟!

ثانياً : الحسّ الدينى ...

إن بروز الحسّ الدينى ، وتفشّى مظهره فى شعر جرير ، أمـــر يكـــاد يبعث على القول بطابعيته الموضوعية ،كمظهر فنى يتفرّد به ، ويحظى فيـــه

([1]) أحمد الشايب : تاريخ النقائض ، ص ٤٣٥.

([2]) دى : ٢ ص ٨٨٨ .

بسهم وافر .. ولم أعن بهذا المظهر الدينى أن الأمر أصبح وكـــأن جريــراً داعية إسلامية ، قد تغلغل الإيمان فى قلبه ، وملك عليه حواسه ومشـــاعره ، فذلك ما لم يكن فى استطاعتنا أن نبرهن عليه ، أو نذهـــب إلـــى الإيمـــان والتسليم به، وإنما لا يعدو الأمر أن يكون فى نطاق الاستجابة الفنية للديـــن الجديد ، واستغلال مظاهره على سبيل استيحائه والاقتباس منه التى تتعدد بين أخلاق وأحكام وتعاليم وشرائع ومسايرة لروحه العامة .

ومن المعلوم كذلك أن الدين متمثلاً فى عقيدته وتعاليمه وأخلاقة ، إنمـا يعُد منقبة وأى منقبة للملتزمين بـــه ، ومثلبـــة أى مثلبـــة للمـــارقين عليـــه والمستهترين به . من ثمّ يصبح الأمر مادة ثرية لشعراء النقائض ، والباحثين عن مثالب الغير ، المنقبين عن عوراتهم ، فيوردها جرير - مثلا فى إطـــار من الطابع الفنى الذى يغلّب فيه عامل الطعن على الآخرين ، والنيل منـــهم ، وذلك بإظهار نقائصهم فيما يتعلق بالخروج على تعاليم الدين ، والعزوف عن أخلاقه ومحامده .

وقـــد كان تأثر جرير غالبا فى هذا الشأن منوعـــاً بيـــن تضميـــن آى القرآن ، أو الإشارة إلى بعض أحكامه ومسايرة روحه ، وبين الفخر بـــــه ، واستنكار ما عداه من المسيحية وشعائرها التى كان يطعن بـــــها فـــى حـــق الأخطل خاصة ، وقد صيغ هذا التنويع فى صلب النقائض فخراً وهجاء ، أو فيما لا يسهما من نسيب ورثاء .

فبصدد الفخر بالإسلام ، والتباهى به دينا سامياً يرتفع بأهله إلـــى ذرا المعالى ، فقد اشتبك كثيراً مع الأخطل ، مشنعاً عليه بمسيحيته وشـــعائرها ، فتراه يقول فى نقيضة له :

قبح الإله وجـــوه تغلـب كلمـــا شـــبح الحجيـــج وكـــبروا إهـــلالا

عبدوا الصليب وكذبـــو عجمـــد وبجـــبرائيل وكذبـــوا ميكـــــالا(١)

وسخر بها فى نقيضة أخرى فقال :

أفبا لصليب ومارسرجس تتقـــى شهباءَ ذات كتـــــائب جمـــهورا (٢)

وقال :

ما فيكم حكم ترضـــى حكومتـــه فى المسلمين ولا مستشـــهد شـــار

قوم إذا جمعوا جمعـــاً لحجـــهم صروا الفلوس وحجوا غير أبرار(٣)

وقال :

تبعوا لضلالة ناكبين عن الـــهدى والتغلبـــى عـــن القـــرآن ضلـــول

يقضى الكتاب على الصليب وأهلـــه ولكـــل مُـــنْزَلِ آيـــة تـــأويل

إن النبـــوة والخلافـــة والـــهدى رغمُ لتغلب فـــى الحيـــاة طويـــل

خالفتم ســـبل النبـــوة فـــاخضعوا بجزى الخليفة والذليـــل ذليـــل(٤)

وهذا هو الفرزدق ورفيقة البعيث ، يرميهما جرير بالغدر والنقص ، إذ لا عهد لهما ، فينفى عنهما أنهما لا يتبعان ما جاء فى سورة المـــائدة حيـــث

(١) دى : ١ ص ٥٢.

(٢) دى : ١ ص ٢٣٠.

(٣) دى : ١ ص ٢٣٧.

(٤) دى : ١ ص ٩٥.

قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود -الآية " وهى التى ينعتها بسورة الأحبار :

إن البعيث وعبد آل مقاعس لايقرآن بسورة الأحبار .

ثالثاً : التصوير الحسّى

كانت ظاهرة الإفحاش الصريح والتصوير الحسّى المكشوف ! أمراً بادياً للعيان ، وصارت محط استهجان واستنكار لدى كل النقاد والباحثين بلا استثناء (١) ، فقد وصل الأمر إلى حدّ بعيد لم نعهده من قبل ، حتى بمقارنتها بالشعر الجاهلى ، وهى أشدّ غرابة حين نسجل هذه الظاهرة فى بيئة إسلامية لها أخلاقياتها وقيمها الفاضلة : وترفض كل الرفض مثل هذا الخروج الفاضح للأخلاق والأعراض ، والتى لا يتورع فهيا الشعراء أن يأتوا بألفاظ صريحة ، وصور حسية مكشوفة لاكناية فيها ولا رمز .

وتتعمق هذه الغرابة كذلك حين نجد هذا الإفحاش والإقذاع فى شعر جرير ، بما لا يتفق مع المشهور عنه من أخلاق وعفة وتدين ، ير بأبه عن اللهو والنساء (٢) ، وهذا ما يدعونا إلى أن نلتمس من الأسباب ، ما يمثل

---

(١) طالع رأى الأستاذ احمد الشايب فى كتابه : " تاريخ النقائض " ص ٤١١ ، والدكتور محمود غناوى الزهيرى فى كتابة : " نقائض جرير والفرزدق " ، ص ٣٨١ ، والدكتور محمد مصطفى هدارة فى كتابة : " الشعر العربى فى القرآن الأول الهجرى، ص ٤٤ والدكتور شاكر الفحام فى كتابة : " الفرزدق ، ص ٢٩١ .

(٢) أنظر الحديث عن أخلاقة فى كتابة : " جرير حياته وشعره " د. نعمان محمد طه ، دار المعارس ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٧٧ .

تفسيراً لهذا الخروج ، وشافيا لأنفسنا مما بها من تساؤل واندهـــاش .. فمـــا الأسباب والمبررات إذا ... ؟

لنا أن نستمع إلى رأى الدكتور الزهيرى ، حيث قال : " يخيل إلـــى أن السبب فى ذلك إنما يعود إلى طبيعة فن المناقضة أولا ، وإلى طبيعة الحيـــاة الاجتماعية ثانياً ، ذلك أن المناقضة ولا سيما تلك التى نشبت بيـــن جريـــر والفزدق ، ضرب من الصراع العنيف ، ولكنه صراع كلامى يستمد مادتـــه مما اصطلح عليه المجتمع أنه فضيلة أو رزيلة ، ولهذا كان من الطبيعـــى أن ينازل كل قرن قرنه بأمضى سلاح يقع فى يدية ، بصرف النظر عما إذا كان هذا السلاح مشروعا أو غير مشروع لأن المسألة مسألة نصر فحياة ففخـــار أو هزيمة فموت فعار وإذا كان الأمر بالنسبة إلى جرير والفرزدق على هـذا النحو ، فإنهما مضطران إلى التراشق بأفظـــع الـــرذائل الاجتماعية وأشـدها وقعًا فى النفوس .([1])

إذن فالأمر لا يعدو أن يكون من قبيل : المهاداة والمغالبة التى تـــروم أن تنتزع الإعجابا ، وتظفر بالتفوق ، وتسكت الخصم وتبكته " ([2]) ، أو هـى " مناظرات أدبية أوجدتهـــا ظروف عقلية ، وأخرى اجتماعية لعصر بنـــى أمية " ([3])، وهذا ما جعل منها مجالاً لإثبات القدرة الفنية ، والبراعة العقلية ،

([1]) د٠ محمود غناوى الزهيرى : نقائض جرير والفرزدق ، ص ٤٨٣.

([2]) د٠ شاكر الفحام والفرزدق ، ص ٢٩١.

([3]) د٠ شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ٢٠٤.

إلى جانب صيرورتها فنًا شعبيًا ، يقبل الجمهور على سماعة فيؤدى بذلك دوراً اجتماعياً مهماً فى ذلك العصر .([1])

وإذا علمنا أن من أفظع رذائل المجتمع آنذاك هى تلك التى تمسّ كرامة الرجل ، وتهتك حرمة المرأة ، وتمسّ عرضها ، استطعنا أن ندرك لماذا ترامى الشاعران بالفحش ، و الإقذاع ، ولماذا تزيدا وبالغا فيهما ، إذا لاشك فى أن التهاجى بمثل هذه الأمور يصيب من الإنسان مقتلا ، وأن الإلحاح فيه من شأنه أن يجهز عليه ، فلا تقوم له بعد ذلك قائمة ، وهذا ما كان يقصد إليه الشاعر من هذا الإفحاش ، إنه كان يتخذه وسيلة لتحقيق غاية ، وهى إيلام الخصم وإيجاعة ، والتشهير به عن طريق نشر مخازية ومثالبه ، سواء أكانت حقا أم باطلا ، وقد نجحا فى ذلك كل النجاح .

لمثل هذه الأسباب وغيرها ، يمكن للقارئ أن يستوعب أو يتفهم إيراد مثل هذا الكلام من جرير فى حق نساء بنى كليب : ([2])

سود المحاجر سئ لبّاتها من لؤمهن يُنلْنَ غير حلال
ككلاب أعبد ثلة يتبعنهم حملت أجنتها بشرَ فحال
يعوين مختلط الظلام كما عوت خلف البيوت كلابها لعظال
يرفعن أرجلهن عن مفروكة مق الرفوغ رحيبة الأجوال

([1]) د. محمد مصطفى هدارة : الشعر العربى من الجاهلية حتة نهاية القرن الأول الهجرى ، ص ١١٥.

([2]) دى : ٢ ، ص ٩٦١.

تلقى الأيور بظورهـــن كأنـــها عصب الفراســـن أو ايــور بغــال

يسلحن أنتن ما أكلـــن عليــهم لمّــا وجــدن حـــرارة الإنـــزال

وقوله كذلك فى بنى ضرار من ضبّة أخوال الفرزدق :

إذا مــاكنت مليمُـــا نكاحـــاً فــلا تعــدل بنيْــل بنــى ضـــرار

ولا تمنعــك مـــن أربٍ لحـــاهم ســواءٌ ذو العمامــة والخمـــار

وإن لاقيــت ضبيـــا فنلـــه فكــل رجالــهم رخْــو الحتــار (١)

هذا وعلى صعيد آخر ، فإن الحديث عن مثل هذه الخاصية الغريبــة ، وإدراجها ضمن دراسة تتوخّى تسجيل العنصر الفنى فى نقائض جرير ، إنما يدعونا ذلك أيضا لبيان جوانبها الفنية ، وأول ما نلحظة من جوانب فنية فــى هذا الاستعمال ، الواقعية والحسية ، فى الدفع فىوجه الخصم ، بهجاء عــار مكشوف ، لا كناية فيه ولا رمز ، فتأتى الصورة حسية ناطقة بكـــل دلالــة سافرة ، كما هو الحال فى قول جرير فى حق الأخطل :

نزت أم الأخيطل وهى نشـــوى علــى الخــنزير تحســبة غـــزالا

تظل الخمــر تخلــج أخدعيــها وتشــكو فــى قوائمــها امـــذلالا

من المتولجات على النشـــاوى ولم تلج الخـــدود ولا الحجــالا (٢)

---

(١) دى : ٢ ص ٨٥٦ .

(٢) دى : ٢ ص ٧٥٠ .

وفى إطار هذه الصورة الواقعية ، نلحظ الخيال الخصب ، وابتكار الصورة والمبالغة فى المعانى ، وخلق الأحداث وتصوير وقائعها فى سياق من الصدق الفنى ، والذى يخالف الحقيقة فى كثير من الأحيان ، مثلما هجا جرير نسوة مجاشع اللائى نلن من شعرة وهجائه الفاحش الكثير ، وبخاصة " جعتُن " أخت الفرزدق فادعى ادعاءً ارتكابها الفاحشة ، ورماها بها فى جلّ قصائده الهجائية ونقائضه ؛ وهو لا يبرح يصوغ هذه الحادثة ، فيبتكر لها من الصور ، ويكثر من مناظرها ، ويعدد من جوانبها بقصد المبالغة والتضخيم ، فيقول :

نسيتم عقر جعتن واحتبيتم ألاتبًا لفخرك بالحُبات
وقد دَمِيَتْ مواقع ركبتيها من التبراك ليس من الصلاة
تبيت الليل تُسلَق إسكتاها كدأب الترك تلعب بالكرات
وحط المنقرى بهافقرّت على أمّ القفا والليلُ عات
تنادى غالباً وبنى عقال لقد أخذيت قومك فى النداة
وجدنا نسوة لبنى عقال بدار الذلّ أغراض الرماة
غوان هنّ أخبث من حمير وأمجن من نساء مشركات
وسوداءِ المجرد من عقال تبايع من دنا خذها وهات (١)

فهذا تصوير مجسم للحادثة المزعومة ، حتى يخيل للناس أنها وقعت حقاً ، وما جاء به جرير إنما هو سرد لأحداثها ومشاهدها .

---

(١) دى : ٢ص ٨٢٩ .

وتراه يمعن فـــى الاستقصاء وسعاة الخيال ، فيتخيل مـــن الأحـــداث متبالهًا ، ما يرسم به حواراً درامياً يدور بين الفرزدق وأخته ، يسألها إمعانـــاً فى إسباغ الواقعية على خياله من الذى أصابها ... ؟ ابن مرة ام صخار ؟ ثـم يجيب هو قائلاً : ليس لها أن تتكلم لأن عجانها ناطق وشاهد بان كليهما فـــى الحقيقة هما اللذان تداولاها :

قال الفرزدق هل أصابك فى السُّرى عمرو بن مره أو لقيت صخارا
وسألت جعتن من أصابك منهـــم ؟ وعجان جعتين يخبر الأخبار (١)

رابعاً : توليد المعانى :

ومن الجوانب الفنية المتعلقة بهذه الخاصية كذلك ، ما نلحظة من عملية توليد المعانى والصور ، فقد اتسمت النقائض فى الغالب بطولها ، سواء فـــى عدد الأبيات أو غزارة معانيها ، مما يحدو بالشاعر أن تتقـــاصر أنفاســـه ، فيبدئ ويعيد فى معانى بعينها ، وأحداث يكثر من ترادها ، بيـــد أنـــه مـــع استمرار الصراع ، وكثرة النزال ، لابد من شحنه إبداعية ومخزون فكرى ، يواكب هذا الصراع ، ويسعف الشاعر فى تحدّية المستمر ، وهذا ما فطـــن إليه كمعالجة لسدّ هذا الجانب ، فعمد إلى عملية الاستقصاء فـــى المعـــانى ، وتوليد الصور من ذات الحادثة الواحدة ، والتنويع حول المعنى الواحد ... فقد أسعفته قريحته الإبداعية على تقليب المعنى الواحد وتصريفه على وجوهـــه المتعددة ، وتلوين جوانبه ، فى محاولة لاستيلاد صورة المختلفة ، وهو الذى

---

(١) دى : ١ ص ٥٢٠ .

يشهد به ابن الأثير فى دفاعه عن جرير (١) حين طعن عليه النقاد بتكـــراره لمعان بعينها ، وهى قتل مجاشع للزبـــير حـــوارى الرســـول ﷺ ، ورمـــى الفرزدق بمهنة القين ، وكذلك ما يرمى به أخته من البهتان والفحش ، ومـــا كان من نبوّ السيف فى يدا الفرزدق ، حين دُفع إليه ليضرب أسيراً روميًا .

وقد أثبت ابن الأثير فى سياق كثير من الاستشهادات عمليـــة التنويـــع التى كان يقوم بها جرير فى هجائه لاسيما المعنى الخاص بأن الفرزدق قيـــن ابن قين ، فقد أورده جرير فى سياق عديد من الصور الفنية ، فتارة يغمـــرة بهذه الأدوات على إنها ألهت أباه عن طلب المعانى وإدراك المجد .

ألهى أباك عـــن المكـــارم والعـــلا لىٌّ الكتائف وارتفاع المرجـــل (٢)

وتارة يجعل منها الأثر الباقى له بعد موته ، فلا يبكيـــه النـــاس ، ولا يحزن على فقده أحبّة ، ولكن تبكيه هذه الأدوات ليس إلا :

يبكى صـــداهُ إذا تصـــدَّعَ مرجـــلٌ أو إن تثلـــم برمـــة أعشـــار (٣)

وتارة يتخذ منها محلاً للمقارنة بين ما ورثه الشاعر عن أبيه ، ومـــا ورثة الفرزدق من مثل شاكلة الحدادة وآلات القيون ، فهى لم تكن شـــجاعة ولا رباطة جأش :

إذا آباؤنـــا وأبـــوك عُـــدّوا أبـــان المقرفـــات مـــن العـــراب

---

(١) أنظر : المثل السائر لابن الأثير ، طبعة بولاق ، ص ٤٩٠ وما بعدها .

(٢) دى :٢ ص ٩٤٤

(٣) دى : ٢ ص ٨٦٥.

فـــأورثك العـــلاة وأورثونـــا رباط الخيـــل أفنيـــة القبـــاب (١)

وتلك وغيرها من الأفكار التى قلّب جرير وجوهها ، وأوردهـــا فـــى معارض مختلفة ، وهى كلها تدور حول هذا المحور الواحد الذى جعل منـــه جرير سبّة فى جبين الفرزدق ، وينوع فى أشكالها وصورها الشـــعرية بمـــا يشاء ، ومن كثرة هذه التوليدات ، والاستقصاء فى صورها الخياليـــة ، فقـــد تعامل معها جرير وكأنها حقيقة لا صفة بالفرزدق .

ومن هذا القبيل يصور جرير الفرزدق قيناً حقاً ، فيســـبغ عليـــه مـــن سمات القيون ما جعل (حدراء) المرأة التى حاول التزوّج بها تتبيـــن هـــذه الصفة ، فتنكره أيما إنكار وتأبى عليه أن يكـــون لـــها قرينـــا ، ثـــم يديـــر الشاعر حواراً كأن الأمر حدث حقاً وذلك لكى يزيد من واقعيـــة الصـــورة ، فكان هذا الحوار المخترع بين حدراء والفرزدق على لسان جريـــر حيـــث قال : (٢)

حدراء أنكرت القيون وريحـــهم والحُـــرُّ يمنـــع ضيمـــه الإنكـــار

لما رأت صدأ الحديـــد يجلـــده فـــاللون أورق والبنـــان قصـــار

قال الفرزدق : رقّعى أكيارنـــا قالت : وكيـــف ترقّـــع الأكيـــار ؟!

رقع متاعك إن جـــدى خـــالدُ والقين جدك لـــم يلـــدك تـــرار (٣)

---

(١) دى : ٢ ص ٧٦٢ .

(٢) دى : ٢ ص ٨٦٦ .

(٣) دى :٢ص ٨٦٦.

ونحن نلحظ هنا مهارته فى تصوير سلاطة لسان الزوجة فى غضون الكلام ، حين تخاطب الفرزدق فتعيره بأبيه بمهنة القيون ، فى حين تفخر هى يحسبها ونسبها ، ثم يزيد من سلاطتها وحدتها حتى تنفيه عن العرب !

وأرى أن هذه الخاصية الفنية ، من التنويع والتوليد حول المعنى الواحد ، إنما نعد أمارة إبداع ومقدرة فنية يمتلكها جرير ، حيث نرى فى الظاهر وقد دار الشاعر حول فكرة واحدة ، وفى الحقيقة أنه يغوص فى هذه الفكرة ، ليستخرج كل ما يمكن استخراجه من أصدافها ولآلئها .

وفى تعليله لهذا التطور والفنى الملحوظ فى شعر جرير ، أرجع الدكتور شوقى ضيف هذه الخاصية الفنية إلى جانب التطور الفكرى والعقلى الذى حظى به العصر الأموى ، حيث أشار إلى ذلك بقولة : " وهذا ونحوه إنما جاء جريراً وصاحبة من الرقى العقلى الذى احرزاه على ضوء ما كانا يسمعان من المتناظرين والمتكلمين فى مسائل التشريع والإيمان والقدر ، وما رأياه عندهم من تشقيق الأفكار وتوليدها ، وسبرا أغوارها ، فذهبا يطبقان ذلك على فن الهجاء ، فنقلا هذه النقلة الكبيرة إلى مناظرات بديعة فى قيس وتميم ودارم وتغلب ... (١)

خامساً : تداخل الفنون :

تداخل الفنون وتجاورها فى القصيدة الواحدة ن ملمح بارز من أهم الملامح الفنية فى شعر جرير ، والتى خرجت من المشهور المتعارف فى

---

(١) د. شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ٢٠١.

الشعر عامة ، إذا لمألوف أن يكون كل فن من فنون القصيدة مستقلاً بنفسة ، قائما بذاته ، فلا يختلط بغيره ، بيد أن الأمر اختلف كثيراً مع النقائض ، فلقد كان لاختلاط العصبيات القبلية بالسياسة فى العصر الأموى ، أثرة البارز فى تهيئة الفرصة لخوض النقيضة فى مديح الخلفاء والولاة ، بحيث لم تصبح النقيضة تحتوى فخراً وهجاءً فحسب ، وإنما تحتوى كذلك مديحاً وعزلاً ونسيباً ، يستلهم الشاعر خلالها ألوانا من القدرة على الابتكار فى التصوير ، والتوليد فى المعانى ، ومن ثمّ لم تكن النقائض مجرد أشعار تلقى فى رحبات اللهو الفارغ ، بل كانت لونا من الفن أشبه ما يكون بتشكيلات نظمية ، تتراءى فى أبياتها السياسة والتاريخ والهجاء ، والمدح والفخر والحماسة والجد والهزل ، والفكاهة والسخرية ، والعزل الماجن والعفيف ، وكل ذلك مع الحرص على الالتقاء فى الوزن والقافية ، والغاية : وهى الضعة والهوان التى يلصقها كل من الطرفين للآخر .

ففى القصيدة الواحدة نرى جريراً يفخر ثم يهجو ، ثم يعود ثانية للفخر ثم للهجاء ، وإذا كان الفخر والهجاء أهم فنون النقائض ، فقد غلبا على القصائد أولاً ، ثم وردا فيها مختلطين ثانياً ، بحيث تجد الأبيات المتجاورة ، جامعة بين الفنيين دون فصل أو تنسيق ، بل تجد البيت الواحد يجمع بين الفنين ، ولك أن تستمع إلى جرير يقول للفرزدق فى مصرع قتيبة بن مسلم الباهلى :

فغيرك أدى للخليفة عهده وغيرك جلّى عن وجوه الأهاتم

فإن وكيعاً حين خارت مجاشع كفى شَعْبَ صَدْع الفتنة المتفاقم

لقـد كنـت يـــافرزدق تابعـــاً وريــش الذنــابى تــابع للقـــــوادم
ندافع عنكــم كــل يــوم عظيمــة وأنــت قراحــى بســيف الكواظـــم
أجبنا وفخـــراً يــابنى زيداســتها ونحن نشبْ الحرب شيب المقادم .([1])

فهو فخر بيربوع ، وهجاء لمجاشع ، وفخر ثانية ، وهجاء ، ثم فخـــر فى خمسة أبيات .

وهذه الصورة غير لازمة الدقة ، فقد تجتمع أبيات الفخر وحدها ، وثم أبيات الهجاء وحدها ، ولكنك تجد أبيات فخر ، فأبيات هجاء ، فأبيات فخر ، ثم عودة إلى الهجاء ... وهكذا وقد تجد نسيبًا وقصصا خلال ذلك ، أو فـــى ديباجة القصيدة ن ولكنه نسيب يقوى من الفخر والهجاء ، بل قد يكـــون أن أحدهما نوعا من النقائض كذلك .

وفى أحيان كثيرة نعثر على أبيات نصفها فخر ونصفها الآخر هجاء ، وذلك قبل قول جرير :

ولا يستوى عقر الكزوم بصـــوْعرٍ وذوا التاج تحت الرايـــــة المتســيف

وقوله :

أعياشُ قد ذاق القيـــون مرارتـــى وأوقدت نارى فادن دونك فـــاصطل([2])

([1]) دى : ٢ ص ١٠٠٢.

([2]) دى : ٢ص ٩٤٥.

سادساً : صدق العاطفة :

تميزت النقائض كذلك بملمح فنى يعمق من تأثيرها ، ويخلّد مآثرهـــا ، وهو صدق العاطفة وقوتها ، وصدورها عن انفعال حقيقى ومتحمس ، ويعلل الدكتور الزهيرى ذلك برؤية نقدية نوافقه فيها ، حيث ذهب إلى أن النقـــائض فى جملتها كانت قائمة على الدفاع عن الأنساب والأحساب ، وكان هذا الدفاع يقتضى كلاً من الشاعرين أن يفخر بنسبة وحسبة من ناحية ، ويضـــع مـــن نسب صاحبه وحسبه من ناحية أخرى .([1])

وإذا علمنا أن العربى كان شديد التعلق بحسبه ونسبه ، عظيم الاعتزاز بهما ، وأنه كان حريصاً كل الحرص على ألا يمُسّا بسوء ، فإنه من الطبيعى أن يغضب الشاعر أشدّ الغضب ويحنق أشد الحنق ، إذا غمز فـــى نســـبه أو وضع من حسبة ، ومن ثمّ يكون هذا الغضب العارم ، بل والاندفاع الـــهادر الذى يحطم الآخر .

وباستطاعتنا أن نلمس مثل هذه العواطف الجياشة التى نحسّها فى فنون الفخر والحماسة والهجاء ، إذ إنها مزيجاً من المشاعر العنيفة كالسخط والحقد والغضب والاعتزاز والتحدى ولعلنا ندرك ذلك جيداً فى قول جرير :

علـــوتُ عليـــك ذروة خنـــد فـــى تَـــرى مـــن دونـــها رتبـــاً صعابـــا

لـــه حـــوض النبـــى وســـــاقياه ومـــــن ورث النبـــــوة والكتابـــــا

ومنـــامن يجـــيز حجيـــج جمـــــع وإن خـــــاطبت عزكـــــم خطابـــــا

([1]) أنظر : نقائض جرير والفرزدق ..د. محمود غناوى الزهيرى ، ص ٣٩٢.

سيعلم مـــن أعـزّ حمـىً بنجـد وأعظمنـــا بغـــائرة هضابـــــا

أعـزك بالحجـاز وإن تسَـــــهل بغـور الأرض تنتـــــهب انتـــهابا

فـــلا تجـزع فـإن بنـــى نمـــير كـــأقوام نفحـــت لـــهم ذنابـــا

شـياطين البـــلاد يخفـــــن زأرى وحيـــة أزيحـــاء لـــى اســـــتجابا([1])

وما من شك فإن صدق العاطفة فى نقائض جرير ، إنما يجنـــح إلـــى اللهجة العنيفة ، والانفعال الهادر ، والكيد الحائق على الخصم ، حتى إنه فى أحيان كثيرة ، يظل يهدر بكل ما أوتى من دلالات مقذعة ، ســـواء أثـــرت الألفاظ بذواتها ، أو وضعها فى سياق ساخر يوجه به إهانه صارخة فى حـق الخصم .

ومن تلك الأمارات الفنية فيما يتعلق بصدق العاطفة فى نقائض جريـــر ما نجدة من خاصية التكرار التى ترد دائما لتستوعب النفس الغاضب لـــدى الشاعر ، ويحتوى لديه النفس المعبأة بالغضب ، والمكظومة بحب التشفى من الخصم ، لاسيما كما نرى فى قوله :

ياتيم إنك عبد مـــن بنـــى كُسـع ما كنت أول عبـد ضـل مغنـوم ([2])

يـــا تيـــم أمكـــم عميـــاءُ مقعـــدة جاءت بنسل خبيث الريـــح مجـذوم

تيمية مثل أنـــف الفيـــل عنبلـــها تهدى الرحا ببنان غير مخـــدوم ([3])

([1]) دى : ٢ ص ٨٢٥ .

([2]) مغنوم : من الغنيمة ، وروى مغنوم : الغتم شدة الحر يكاد يأخذ بالنفس (القاموس) .

([3]) عنبلها : بظرها .

ومنها كذلك دلالة السبّ التى يستخدم فيها أسلوب(يـــا ابـــن كـــذا...) وأرى أنه يلجأ إلى هذه الطريقة لأنها تسعفه فى تعدد صور الهجاء والتلويـــن فى أحداثها ورقائعها ، وحشد أكبر قدر من المثالب والعيـــوبُ التـــى تنـــال الخصم ... مرة بدلالات الألفاظ ، ومرة بالاحتشاد فى تعدّد صورها ، ومن ثم يفلح الشاعر فى تكثيف دفقات الهجاء وأسلحته النارية فضلاً عـــن احتـــواء شعورة العارم بالغضب والتنفيث عن مكامنه .. وذلك على هذا النحو الـــذى نراه فى قولة : ([1])

ياعقب يا ابن سنيع ليس عندكـــم مأوى الرقاد ولا ذو الرايـــة الغـــادى

يا بن سنيع خريتم فـــى حيـــاضكم يا ألأم الناس عند الحـــوض والـــزاد

يا عقب يا ابن سنيع بعض قولكـــم إن الوثـــاب لكـــم عنـــدى بمرصـــاد

اروا على وأرضوا بى صديقكـــم واستسمعوا يا بنى ميثـــاء إنشـــادى

وقولة كذلك : ([2])

يا ابن التى اغتسلت فى بيت جارتها ليلاً فأصبح فى هلـــب اســـتهامدر([3])

ومثل هذا المنحى الذى اتبعه جرير فى جانب كبير من نقائضة ، جعل بعض النقاد يعزوه إلى الاستجابة الملحة للطابع الشعبى لتلك الجماهير التـــى خلقتها ظروف خاصة بطبيعة الحياة فى العصر الأموى ، مـــن ثـــمّ فلســـت

([1]) دى : ١ ص ٤٣٣ .

([2]) دى : ١ ص ٢١٦ .

([3]) الهب : الشعر .

أختلف مع الدكتور الكفراوى حين ذهب إلى هذا التوصيف بقولة : أما جرير فى نقائضة فصاحب طريقة جديدة تعتمد على الكذب والافتراء ، مع التـــهكم والسخرية التى تصل إلى حد البذاء والإقذاه ، ولا تولى المثل العليا كثيراً من اهتمامها ، ويمكن أن نضع جزءاً كبيراً من هجاء جرير فى بـــاب التـــهريج الذى يلائم الأذواق الشعبية . ([1])

([1]) د٠ محمد عبد العزيز الكفراوى : جرير ونقائضة مع شعراء عصره ، ص ٨٦.

المبحث الثانى

النقائض " وفن السخرية (*)

لقد تجلت السخرية والفكاهة فى شعر جرير ، إلى الحد الذى شكلت معه ظاهرة فنية لا يمكن إغفالها ، ولا يمكن إلا أن ندرسها دراسة مستقلة ، تستبطن جوانبها النفسية والاجتماعية ، وتحلل بواعثها الأصيلة فى نفس جرير ، ومن ثمّ الصور الشعرية الساخرة التى عدّد استخدامها فى شعره ، وتلونت أفكاراً وحوادث .

أسباب ودوافع :

والحق أننا حين نتملى أمارات هذا الفن ، ونتوخى بواعثه الحقيقية ، فلا شك أننا سنصطدم من الوهلة الأولى بعديد من الدوافع لنفسية الكامنة فى شخصية الشاعر ، وهى التى تمثل المحرّض الأول ، والدافع الأهم فى انتشار هذه الظاهرة فى فنه ، فضلاً عن المقتضيات الفنية والأدبية التى تتطلبها ساحة النزال والمعترك القائم بينه وبين خصومه من الشعراء .

وأول ما يلفت أنظارنا من تلك الدوافع ، ذلك الإحساس النفسى بالضعة والهوان الذى يتملك الشاعر ، بسبب هوان أسرته ، وفقر قومه ، مقارنه بأسرة الفرزدق ورهطه ، فلم يكن جرير بالذى يملك الأسباب التى تمنح

(*) ثمة علاقة قائمة بين الدلالة اللغوية لكلمة السخرية ، والتى تعنى التذليل ، وبين الدلالة العامة الواردة فى معاجم اللغة بمعنى الهزء ، وذلك لأن الساخر دائما ينظر إلى المسخور منه ، على أنه وضيع ذليل ، فلا يستحق منه إلا أن ينعته بهذه الصور الهازئة ، المحقرة من شأنه ، والمساوية لقدرة .

الفرزدق صكاً طبيعيا فتكون مبرراً لشموخه وتعالية .. من علية القـــــوم ، وعراقة الأصل ، ومنعة الأهل ، من ثمّ فجرير حيال هذا كله كـــانِ ينتابــه إحساس عميق بمركب النقص إزاء هذا الخصم المتعالى برهطه ، ولطالمـــا أوجعه قول الفرزدق :

أولئــك آبــائى فجئنـــى بمثلـــهم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجـــامع !
نمونى فأشرفت العلايـــــة فوقكـــم بحـــور ومنـــا حـــــاملون ودافـــــع
بهم أعتلى ما حملتنـــــى مجاشـــع وأصـــرع أقرانـــى الذيـــن أصـــــارع
فيا عجبى حتـــــى كليـــب تســـبنى كـــأن اباهـــا نـــهتل أو مجاشـــــغ !!

من ثم نلحظ فى الغالب هذه اللهجة المتعالية ، ونبرة الفخر المتطاولـــة من قبل الفرزدق سواء فى فخره أو هجائة أمام جرير ، انطلاقا من محتـــده وأصالة حسبة ، ولم يكن حينئذ أمام جرير وهو المهيض الجانب إلا أن ينتقم لنفسه ، ويتشفى من خصمه الذى لا يملك من جنس سلاحه فيعتمد اعتمـــاداً كبيرًا على رصد مثالبه التى ينوع فيها ، ويولد منها ، ويوردها فى سياق من السخرية اللاذعة والمقذعة ، فضلا عن المبالغة فى تصويرها وذلـــك كلـــه عوضاً عما يفتقده جرير من مآثر قومه ومنعة أهلة مثلما هو الحال فى يـــد غيره .

وقد فسر الدكتور نعمان هذا الدافع تفسيراً نفسياً واجتماعيا كذلك ، فيما يعد جريراً مثالاً للديمقراطية الشعبية البسيطة ، التى حاولت أن تأخذ مكانـــها فى مجتمع تسيطر عليه (الأرستقراطية) الفنية التى كان يمثلها الفـــرزدق ، والتى توورثت عن الجاهلية ، من ثمّ فهو يقول : ولاشك أن جريرًا قد أعدته

أجيال وأجيال منذ القدم ، ليقوم بما أراده مجتمعه ، وذلك لأن أجـــداده منـــذ القدم قد تسلسل فيهم هذا الشعور بالظلم الاجتماعى ، فأخذ ينتقل من أب إلـــى ابن إلى حفيد حتى تبلور فى مثل هذا الشاعر الذى منحه الله جهازاً عصبيـــاً حساسا ، وانتقلت إليه الآلام بالوراثة منذ قديم الزمان ، ثم انعكست عليه آلام مجتمعه البدوى ثم الحضرى الذى عاش فيه ، فكانت أخيرًا عود الثقاب الذى أشعله بالسخرية ، يحاول بها تضخيم عيوب هذه الطبقة التى تزعم لنفســـها العظمة والمجد ، وتدوس بأقدامها بقية مجتمعها الضعيف المهضوم ، معتمـدة على أن ، ما تمتلئ به من عيوب قد غطاه المجد الزائف .([1])

والعيوب التى سخر بها جرير ليست جلها عيوباً شخصية ضد الفرزدق أو الأخطل أو غيرهما ، بل هى عيوب اجتماعية تتمثل وتظهر فى المجتمع الخاص أو الأسرة التى ينتمون إليها ، وثمّةَ عناصر مشـــتركة فـــى هجائـــه الأشخاص المختلفين ، كالعنصر النسائى الذى استند عليه استناداً كبيرًا وبغير حق ، وثمة عناصر غير مشتركة كالنصرانية التى تفـــردّ بـــها الأخطـــل ، والفسوق والفجور الذى عزاه إلى الفرزدق ، واللؤم الذى اشتهر عن التيـــم ، والعور الذى عير به الأعور النبهانى وهكذا .

أما الدافع الثانى ، فنلحظه بوضوح فى واقعية النقائض وطبيعتها ، ذلك لأنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الهجاء فى الجاهلية ، حيث كان الشعراء فـــى جاهليتهم يعبرون عن وقائع قائمة ، ومعارك تراق فيها الدماء ، ويتنـــازعون نزاعاً هم فيه ألسنة قبائلهم ، ويتحدثون عن نوازعها فى الانتقـــام والتشـــفى والثأر ، أو فى التعالى والتحدى .

([1]) د. نعمان محمد أمين طه : جرير حياته وشعرة دار المعارف ، ص ٣٣١.

أما نقائض جرير والفرزدق وغيرهما ، فكانت نوعا مـــن المفــاخرة والمهاجرة ، لا تبلغ أن تثير الأحقاد ، أو تؤجج الأضغان ، لأنها لم تكن تلبية لحروب ووقائع ، بل " هى عمل يراد به قبل كل شئ تسلية الجماعة العربيــة الجديدة فى البصرة ، حيث تكون المجتمع العربى هناك فى شكل مدينة لأول مرة فى تاريخ القبائل التى نزلت البصرة . ([1])

من ثم لم تكن هذه النقائض بين جرير وغيره من الشعراء إلا هذا الفن الجديد الذى وجدت فيه البصرة كل ما تريد من لهو وتسلية ، وقطع وقــت أو فراغ ، فهى اللعبة التى كان يعجب بها القوم ، والتى كانوا يخرجون للفرجــة عليها فى هذا المسرح الكبير ، مسرح المربد الذى كانت تختلف إليه القبــائل والجماهير ، وتتحلق حلقات الاستماع إلى الشعراء ، وإلى ما يحدث جريـــر والفرزدق خاصة ([2]) الأمر الذى يسمح بخلق هذا الســـياق مــن الســخرية والفكاهة والتنذر ، سعياً إلى إرضاء الجماهير المتحلقة والمستمعة والتى غالبا ما تقطع عملية التناشد بين الشاعرين بالإعجاب والتصفيق .

أما الدافع الثالث ، فهو يتعلق بالطبع الفنى الذى كان يتمتع به جريــو ، من رقة ودماثة ولين طبع ، مما أكسبه قدرة نفسية أقرب إلى طابع الســخرية والتنذر وحب الفكاهة . والقدرة كذلك على تسخيرها لتكون أحـــد الأســلحة المؤثرة فى الخصم ، والجاذبة لميول الجمهور المستمع .

([1]) د. شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ١٨٢ .

([2]) الأغانى ، طبعة دار الكتب ، جـ٨ ، ص ٢٩ .

صور السخرية :

ومن أولى صور السخرية التى تقابلنا فى شعر جرير .. نحته الألفاظ التى تدل على الاستخفاف والهزء ، معتمدا على إيقاعها الموسيقى الساخر ودلالاتها المبهمة ، من تلك التى تتركب من حروف مفخمة ، مثل : جوخى - خجخج - الجيثلوط - الخضاف- ضواطر- الجلوبق (١)

وهى ألفاظ ذات وقع خشن على الأذن ، حيث تعكس بموسقاها ورنينها كثيراً من الإحساس بالهزء والسخرية ، وبخاصة فى عصر جرير ، مثلما نجد فى قوله :

لقد كان يا أولاد خجخج فيكم فحول رخْل للزبير ومانع (٢)

وقوله :

وأنتم بنى الحوار يعرف ضربكم وأمكمُ فخٌّ قُذامٌ وخيضف(٣)

وحين يجمع بين عدة نعوت مثل قولة :

فإن مجاشعًا فتبيوهم بنو جوخى وخجخج والقذام

---

(١) جوخى : اسم للإماء - الخجخجة : الإستخفاء وسرعة الإناخة والحمق - الجيثلوط : شتم اخترعه للنساء ولم يفسروه ، وكأن المعنى المعنى : الكذابة السلاحة ، مركب من جلط ، وجنط أو تلط (القاموس) الضواطر : هو الضخم النئيم العظيم الإست - الجلوبق : لص من بنى مهرة - الخضاف : مشتق من الخضف وهو الضراط .

(٢) دى : ٣ ص ٩٢٥ .

(٣) دى : ٢ ص ٩٣٢ .

وقوله :

وخضاف قد ولدت أباك مجاشـــعًا وبنيـــه قـــد ولّدتـــهم التحـــــوار(١)

وقد لا يستشعر القارئ مع هذه الألفاظ ما تحتوية من مســـحة الـــهزء والسخرية ، مثلما كان الأمر فى عصرها وبيئتها ، بيد أنه مـــع الاســـتعانة بدلالاتها التى تسجلها المعاجم اللغوية ، نتبيـــن حقيقـــة إيحاءاتـــها ، ووقـــع سخريتها على النفس ، وبخاصة تعمد الشاعر لاستخدام الألفاظ التى تتداخـــل فيها حروف رنينية الوقع ، مثل الخاء مع الجيم كما سبق والتاء مـــع الطـــاء مثل (الجيتلوط) والضاد مع الطاء مثل (ضوطر) والجيم مع القاف مـــل (جلوبق) ، فهذه الألفاظ وأمثالها ، من حيث غرابتـــها ونـــدرة اســـتعمالها ، تبعث الاستخفاف الواضح ، والذى يرتكز عليه الشاعر .

عنصرا رئيساً فى تحقيق مشاعر السخرية والهزء .. ولك أن تســـتمه قوله .

وإذا فخـــرت بأمـــهات مجاشـــع فافخر بقبقـــب وأذكـــر التحـــوارا(٢)

وقوله :

عُدَّو خضاف إذا الفحول تنجبـــت والجيثلـــوط ونخبـــة خـــوار(٣)

---

(١) دى : ٢ ص ٥١٩ .

(٢) دى : ٣ ص ٥١٩ .

(٣) دى : ٢ ص ٥١٨ .

وقد دأب جرير أن يجعل نعوتاً بعينها ، فيلصقها بمن يسخر منه ، حتى يكاد يتعامل معه على أنه صاحب هذا اللقب حقاً ، ومن ذلك أنه كان ينعت الفرزدق بـ(ابن شعرة) ومجاشعا بـ (زبداستها):

ولو كنت منا يا ابن شِعْرة مانبا بكفيك مصقول الحديده مرْهَف(١)

وقوله :

أَبُنىَ شِعْرَة لم تجد لمجاشعٍ حِلْماً يوازن ريشة العصفور(٢)

وقوله :

فيما يسوء مجاشعاً زيداستها حتى الممات تروُّحى وبَكُورى(٣)

وابتكار جرير لمثل هذه الألفاظ ، وتوظيف دلالتها الصوتية لبث مشاعر السخرية ، إنما يذكرنا بنفس المسلك الإبداعى فى فلسفة شاعر المعرة ، حيث يتكئ هو الآخر على الحس الصوتى ، وغرابة الألفاظ ، ويجعل منها مادة للسخرية ، فقد أعطى الجنى الذى زعم أنه التقى به فى الجنة اسما يوحى بالسخرية من خلال تركيبته الصوتية ، وإبهام معناه وغرابته ، وهو (الخيتعور أحد بنى الشيصبان) ، ويبالغ فى السخرية منه حين يكنية بكنية تحتوى على حروف غريبة الوقع على الأذن : (أبو هدرش) من ثم فيكون جرير والمعرى قد أسسا للمنطق الصحيح فيما يتعلق بالتوجه الإبداعى للسخرية ، وابتكار آلية فنية ، قوية التأثير على مشاعر

---

(١) دى : ٢ ص ٩٢٩ .

(٢) دى : ٢ ص ٨٥٧ .

(٣) دى : ٢ ص ٨٦١ .

الإنسان ونفسيته ، وذلك من خلال تأليف الألفاظ ، والتركيب بين حروفها .

ولعلنا نجد لهذه الفلسفة الساخرة أصلاً فى معاجمنا اللغوية ، فهى تشتمل على كثير من الألفاظ ذات الوقع الساخر الغريب ، ينبعث أساساً من تداخل حروفها وإطالة مقاطعها ، وإبهام دلالتها ، مما يدل على نحتها لهذا الغرض الساخر ، ولا أظن أن لها دلالة محددة إلا عبر إيحائها الصوتى ، فيجرى العرف اللغوى على سنن ما أشتهر من دلالاتها المستعملة ، مثل كلمة (الحبنطى) وقد جرى العرف اللغوى على تفسيرها بـ : القصير الضخم ، وكلمة (الشوزن) وهى : العسير الملتوى من كل شئ والشديد الخلق ، وكلمة (العفنجج) وهى الضخم الأحمق ... وهكذا .

وفى سياق نظرة العرب المتواضعة للمهن والحروف ، ينفذ جرير من هذه الثغرة ليعير الفرزدق بأدوات القيون التى كانوا يستعملونها ، وينوع حول دلالتها ، ويولد منها الكثير من صيغ الصورة المركبة والساخرة :

ألا إنما مجد الفرزدق كيره وذخر له فى الجنبتين قعاقع[1]

ويذكره دائما أنه قد ورث عن أبية وأجداده حرفة القين وأدراتها ، كأنما يدلل حقا على أنهم سلالة تتوارث هذه المهنة الحقيرة ، وأنهم أولاد العبيد القيون .. وإذا ما أفتخر الناس بالمكارم والمعالى ، فخروا بالمرجل والقدوم :

وأورثك القين العلاه ومرجلاً وإصلاح أخرات الفؤوس الكرازم[2]

([1]) دى : ٢ ص٩٢٣ .

([2]) دى : ٢ ص ٩٩٨ .

وقوله :

إذا عـــدت مكارمـــها تميـــم فخـرت بمرجـل وبعقـــر نـــاب

وسيف أبى الفرزدق قـــد علمتـم قـدوم غـير ثابتـه النصـــاب (١)

وإمعانا من جرير فى توليد دلالة السخرية ، فهو يعمد دائما إلى ابتكار الصور الطريفة التى ينوع فيها ، ويعدد فى بنائها ، لاسيما هـــذه الصـــورة المضحكة ، حين يجعل هذه الأدوات هى كل ما يملكة جدّ الفرزدق ، وهـــى كذلك أشياؤه الثمينة التى يعتز بها حتى ليدفنها معه ذخيرة باقية :

وجد الكتيف ذخـــيرة فـــى قـــبرة والكلبتـــان جمعـــن والميشـــــار(٢)

ولعلك تدرك حسّ السخرية فى لفظة (ذخيرة) . وقد جعلها شيئاً ثمينـــاً وذخراً له فى قبره .

ثم إذا بكاه أحد بعد موته ، فليس تجد له سوى هذا (المرجـــل) يبكـــى صداه ، حيث بشخصه جرير ، فيجعل منه الإنسان الوحيد الذى يخلص لـــه ويبكيه !

يبكى صـــداه إذا تـــهزّم مرجـــلٌ أو إن تثلّـــم برمـــــة أعشـــار(٣)

ومن كثرة التنويع حول هذه الدلالة ، تعامل جرير مع الفرزدق علـــى أنه قين ليس إلا ، فأسبغ عليه من كل الصفات التى تتعلق بهذه القيون ، مـــا

---

(١) دى : ٢ ص ٧٦٣ .

(٢) دى : ٢ ص ٨٦٥ .

(٣) دى : ٢ ص ٨٦٥ .

جعل الناس يتعاملون معه كأنه قين حقاً ، حتى إنه ليدلل على مصداقية هـــذا الواقع ، بتصوير زوجته (حدراء) وقد تنكر للفرزدق أن يكون قرينا لـــــها ، حين تبينت فيه هذه الصفات ، فيدير على لسانها حواراً كأن الأمر حقيقة وفيه تتنكر لهذا القين حيث يقول :

حدراء أنكرت القيـــون وريحـــهم والحـــر يمنـــع ضيمـــــه الإنكـــــار
لمـــا رأت صـــدأ الحديـــد بجلـــده فـــاللون أورق والبنـــــان قصـــــار
قال الفـــرزدق : رقَعـــى أكيارنـــا وقـــالت : وكيـــف ترقـــع الأكيـــار؟
وقـــع متـــاعك إن جـــدى خـــالدُ والقين جـــدك لـــم يلـــدك نـــزار([1])

وفى أحد الوسائل التعبيرية والفنية لتعميق جانب السخرية ، يلجأ جرير إلى أبتكار أسلوب المقابلة ، إذ إن طبيعة المقارنة بين الأضداد يعمق بعضـــها بعضاً ، فضلاً عن أنه يلجأ فى أحيان كثيرة إلى تعزيز هذا المسلك بـــدلالات الفحش ، يقصد الإغراق فى سخريتها ، والضحك منها .

فالفرزدق كان قصير القامة بطبيعته ، لكنه كان طويلاً فى شئ آخر :

وَجَدَ الفرزدق فـــى مســـاعى دارم قِصرا إذا افتخروا وطـــولَ أيـــور([2])

وحـــين تسمح نفسه بمنيحة ، فهى منيحة من مثل ما يصـــور جريـــر بقوله :

منحت الجار أيرك وهـــو أعمـــى وبئـــس منيحـــة الزمـــن المحيـــــل

([1]) دى : ٢ ص ٨٦٦ .
([2]) دى : ٢ ص ٨٥٧ .

وأخيراً يأتى هذا المسلك ، الممعن فى دلالة السخرية ، حيث يصوغها فى قالب من القفشات المضحكة ، وصور من المعانى الفكهة ، فتبعث بتأثيرها على الضحك والابتسامة أكثر منه إيلاماً وتأثيراً فى الاحساس والشعور ، وغالبا ما يورد هذه الدلالة فى صور مركبة ، متى استجمع المتلقى دلالتها المصورة فى ذهنه ، غلبته سخريتها فضحك .

فهو حين يرسى صورة ساخرة للبخل (لبنى تغلب) قوم الفرزدق يبتكر من الصور المتحركة التى يسهل على الذهن اختزالها ، فيستدعيها القارئ متى شاء وذلك مثل قولة : ([1])

والتغلبى إذا تنحنح للقرى حك إسته وتمثل الأمثالا

ولما كان الفرزدق قصير القامة ، قبيح الوجه ، فتلك فرصته السانحة ، لكى يلعب على هذا الوتر ، ويولد منه صوره الساخرة ، فيقول : ([2])

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً وجاءت بوزواز قصير القوائم

وما كان جار الفرزدق مسلم ليأمن قرداً ليلة غير نائم

وقولة :

وهل كان الفرزدق غير قرد أصابته الصواعق فاستدارا

([1]) دى : ١ ص ٥٢ .

([2]) دى : ٢ص ٩٩٨ .

وعندما تعرض له (العناب) أعور بنى نبهان ، أجابه بقولة :([1])

وأعور مـــن نبـــهان أمانـــها ره فـــأعمى وأمـــــا ليلـــــه فبصـــــير

وليس ثمة قفشة تبعث على الضحك ، كما نجد فى هذا التصوير الـــذى بلغ مبلغاً كبيراً من السخرية ، إلى الحدّ الذى اتخذه الناس مثـــــلاً شـــروداً ، وذلك حين هدّد الفرزدق بقتل (مربع) راوية جرير فرد عليه جرير بقولة ([2])

زعم الفرزدق أن ســـيقتل مربعـــا أبشـــر بطـــول ســـــلامة يـــــامربع

ومثل هذه القفشات وإيرادها فى سياق فكاهى ، إنما تدلنا على طبيعـــة هذا الغرض كعامل فنى أصيل ، حرص فيه جرير علـــــى إبـــراز مهارتـــه الفنية ، وبراعته فى إفحام خصمه ، عبر هذا القالب من السخرية والتـــهكم ، فيعمد إلى تحقير الخصم والنيل منه ، فى صورة (كاريكاتورية) ، تبالغ فـــى تجسيم العيوب الحسبة والنفسية ، فيستثير بذلك حسّ الفكاهـــة فـــى وجـــدان المتلقى ، ويشركهم معه فى الهزء بصاحبة ، والتهكم منه .

([1]) نفسه : ص ٨٨٧ .

([2]) دى : ٢ ص ٩١٦ .

خاتمة بأهم نتائج البحث

من خلال هذا التحليل الفنى ، دراسة ونقد جوانب الإبداع فى نقائض " جرير " يمكن أن تخرج بأهم النتائج الفنية التى تمخضت عنـــها الدراســة ، والتى أراها كما يلى :

١-لقد بدا لنا أن أكثر معالم التطور والتجديد فى الشعر الأموى عامة فـــى الجانب الموضوعى ، بتحويل كثير من الأغراض الشعرية إلى أشـــكال جديدة ، ولاسيما تحويل الهجاء إلى نقائض ، واستغلالها عاملاً أساسًا فى التبارى الفنى والمناظرات الأدبية والفنية ، فى محاولة لإغناء العربية فى لغتها وصورها .

٢-تعددت - عند جرير - أساليب البناء الفنى للنقيضة ، مما يوحى ببنـــاء هندسى يشكل النضج الكامل لهاذ النوع من القصائد الشـــعرية ، وهـــذا الطابع الفنى الذى تنفرد به الفحول فى العصر الأموى .

٣-بدت اللغة فى إيداع الشاعر أهم مكون أساسى يمنحه صك اعتماد الريادة الشعرية فى العصر الأموى ، وقد اتسمت هذه اللغة بجمال وعذوبتـــة ، ولين الأسلوب وسهولته وإحكام النسج وسلامة التركيب .

٤-سطر " جرير " نقائضه تنضج بمعالم فنية وإبداعية ، من الصدق الفنـــى وقوة العاطفة ، ورحابة الخيال ، معروضة فى سياق فنى وموضوعـــى ، مما ينمّ عن قوة اقتدار وتمكن إيداعى وقريحة صافية واســـعة الخيـــال والابتكار .

٥-تبدّت أهم مظاهر الإبداع فى شخصية الشاعر بابتداعه فـــن الســخرية والفكاهة ، استغلالها أسلوباً فنيًا فى تفجير الطاقات اللغوية من ناحيـــة ، وحاجات نفسه من الانفعال طاقاتـــه التعبيريـــة والنفســية مـــن ناحيـــة أخرى .

٦-تعدّدت صور السخرية وتوليد المعانى واستقصاء المعنى الواحد ، فـــى سياق فنى وعرض شائق ، يعززان استحواذ الشـــاهر لطـــابع الفحولـــة الشعرية فى العصر الأموى .

مصادر ومراجع البحث

- المثل السائر لابن الأثير - طبعة بولاق - بدون تاريخ .
- الأغانى للأصفهانى - الطبعة المصرية - الجزء الثامن - بدون تاريخ .
- ديوان جرير - جزءان - دار المعارف ، سنة ١٩٨٦ .
- أحمد الشايب .

٤- تاريخ النقائض - مطبعة السعادة بمصر - ط٢ - سنه ١٩٥٤ .

- د. شاكر الفحام .
- الفرزدق - دار النهضة المصرية - بدون تاريخ .
- د شوقى ضيف .

٦- التطور والتجديد فى الشعر الأموى -دار المعارف - ط٧ ، سنه ١٩٨١ .

- صابر عبد الدايم :

٧-الشعر العربى بين الثبات والتطور - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٧.

- د. محمد إبراهيم جمعه .

٨-جرير - سلسلة نوابغ العرب - دار المعارف - ط٦ ، سنة ١٩٨٦.

- د. محمد عبد العزيز الكفراوى .

٩-جرير ونقائضة مع شعراء عصره - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧١.

• د٠ محمد مصطفى هدارة .

١٠- الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الـــــهجرى ، دار المعارف سنه ١٩٧٥ .

* د٠ محمد النويهى .

١١- الشعر الجاهلى ، جـــ١ ، دار المعارف ، سنة ١٩٧٣.

* د٠ نعمان محمد أمين طه .

١٢- جرير " حياتة وشعره - دار المعارف - ط ١ ، سنه ١٩٦٨

فهرست

الموضوع	الصفحة
❊ مقدمة ..	٥٦٧
❊ تمهيد حول : جرير الشاعر .	٥٧١
المبحث الأول	٥٧٦
المكونات الفنية للنقيضة	
❊ طرائق فنية فى بناء النقيضة .	٥٨٢
❊ الـــــرد والإلصـــــاق .	٥٨٣
❊ المماثلـــــــــــة .	٥٨٤
❊ مناقضة المعنى المشـــترك .	٥٨٥
❊ التنـــــــــــازع .	٥٨٦
❊ خصائـــص فنيـــــة :	٥٨٧
أولاً : وســـطية اللغة .	٥٨٧
ثانياً : الحس الدينـــى .	٥٨٩
ثالثاً : التصوير الحسى .	٥٩٢
رابعاً : توليد المعانـــى .	٥٩٧
خامسًا : تداخل الفنـــون .	٦٠٠

الموضوع	الصفحة
سادسًا : صدق العاطفة .	٦٠٣
المبحث الثانى	٦٠٧
النقائض ... وفن السخرية	
❊ أسباب ودوافع .	٦٠٧
❊ صور السخرية .	٦١١
❊ خاتمة بأهم نتائج البحث .	٦١٩
❊ مصادر ومراجع البحث .	٦٢١
❊ فهرســــــــــت .	٦٢٣